

صورة المرأة في أدب الأطفال العربي

هاله اسبانيولي

محاضرة في الكلية العربية للتربية حيفا، عضوة إدارة مركز دراسات

مقدمة

نشهد في السنوات الأخيرة اعترافاً عالمياً يتزايد يوماً بعد يوم بأهمية توفير الإمكانات المتساوية للجميع من أجل تطوير القدرات الذاتية لكل فرد في المجتمع لما في ذلك من مصلحة تعود بالفائدة ليس على الأفراد فقط بل على المجتمع بأكمله. ففي عصر الحداثة وما بعد الحداثة فإن الطاقات البشرية المتميزة المبدعة هي ما يحتاجها كل مجتمع للدخول إلى حلبة الصراع الدولي وإلى دولاى العولمة ولذا فتحتى القوى الاقتصادية الكبرى الفاعلة في العالم أصبحت تولي اهتماماً لتطوير القدرات البشرية. فأى مجتمع يسعى لأن يساهم في الحضارة البشرية يحتاج في ظل العولمة إلى أقصى الطاقات البشرية الخلاقة. فالصراع اليوم هو بين المشاركة في الإنتاج واستهلاكه. وكما هو معروف فإن هناك عدة عوامل تؤثر على صقل الشخصية الإنسانية منها عوامل اقتصادية وسياسية وجغرافية واجتماعية ونفسية وعاطفية. وتشترك في تفعيل هذه العوامل مؤسسات المجتمع المتعددة، المجتمع، البيت، المدرسة النادي وسائل الإعلام، المؤسسات التربوية، المؤسسات الدينية. وجميع ما يصدر عنها من رسائل (سلوكيات، مواقف) واعية وغير واعية مكتوبة أو مسموعة.

نتيجةً لنشاطات الحركة النسوية في العالم وتفكيك هذه العوامل إلى مركباتها فقد اهتمت المربيات منهن في البداية إلى ما تحمله الكتب من رسائل، وإلى استعمالها في العديد من الأحيان لبلورة الأفكار والمواقف للأطفال أو المستهلكين بشكل عام.

ورافقت هذا الاهتمام أبحاث عديدة في العالم أثارت اهتمام المجتمع ومؤسساته وشهدنا على مر السنوات اهتماماً متزايداً من قبل السلطات المختلفة. مما حدا بمؤسسات الأمم المتحدة إلى الاهتمام بالموضوع وأجراء الأبحاث حوله. أما في العالم العربي فنشهد أيضاً بعض الاهتمام في الموضوع خاصة في لبنان وبلدان المغرب العربي ولعل أول بحث جاد حول الجنسية في أدب الأطفال العربي هو البحث الذي أجرته يولندا أبو النصر وزينات باروني عام 1994 حول كتب الأطفال في السنوات 1977-1993، والذي كشف أن غالبية الشخصيات النسائية في كتب الأطفال تلعب دور الرعاية والتعلق في داخل العائلة.

كمهتمات بالطفولة المبكرة وفاعلات في العديد من المؤسسات ارتأينا أهمية إجراء بحث حول صورة الأنثى المرأة/ الفتاة الطفلة في أدب الأطفال المخصص للطفولة المبكرة ونقوم هنا باستعراض النتائج الأولية لهذا البحث، وعرض بعض النماذج الإيجابية من الأدب العربي المحلي المترجم ومن الأدب العالمي، واستخلاص بعض المعايير التي من الممكن بمراجعتها أن تكتب المزيد من النماذج الإيجابية.

البحث

وقبل الولوج في البحث من المهم أن نتوقف للحظة حول المصطلحات المستعملة هنا: الجنسية (Sexisim): يستعمل هذا التعبير بالمماثلة مع



الكتب التي استعرضت إلى غاية ألان تحتوي على:

عينة الكتب المستخدمة ومكان إصدارها:

عدد الكتب التي تحتويها العينة	مكان الإصدار
60	محلية (فلسطينية داخل إسرائيل)
19	فلسطينية أصدرت في المناطق المحتلة
37	ترجم محليا
26	لبنان (كتب او ترجم)
18	العراق
16	سوريا
15	دار المني (السويد)
4	الكويت
8	مصر
14	الأردن
217	المجموع

جمع وتحليل النتائج

لقد قمنا بقراءة كل قصة على حدة وسجلنا اسمها، مكان صدورها، واسم المؤلف/ة، المهنة المعطاة لشخصياتها، الصفات، المهام، تقسيم الوظائف بين الشخصيات في القصة الواحدة. كما ونظرنا إلى الرسومات وما تعكسه من رسائل خفية. وارتأينا أهمية لاستعمال طريقتين في تحليل النتائج لما في ذلك من أهمية في تصوير الوضع القائم في كتب الأطفال التي أدرجت في العينة. فنحن سنستعمل طرق تحليل كمية تظهر الكم من الوظائف والمهن والصفات والمهام التي تقوم بها النساء والرجال، الفتيان والفتيات، بالإضافة إلى ذلك فسيراقد ذلك تحليل نوعي للنتائج لكي نوضح الديناميكية الداخلية للقصة والعلاقة بين الشخصيات بها وارتباطها بالفكر النمطي المقولب.

بعض النتائج الأولية

العناوين: لدى استعراضنا لعناوين الكتب وجدنا 80 قصة أعطيت لها عناوين مذكرة بينما 46 قصة فقط كان بعناوينها أسماء مؤنثة وثلاث قصص فقط دمجت بين الجنسين. وعند استعراضنا لمحتويات هذه العناوين فوجدنا أن: برهان، سنبل، فارس، جهاد، حسام، نبيل، إياس، حسن، وزحلف يوصفون ب: الشجاعة (8)؛ الذكاء(4)؛ النشاط؛ السباق؛ الشاطر؛ الفهمان، الوفي، القادر على المساعدة. وحتى عندما يذكر طفل صغير فهو عنتره أو ملك، أما الأميرة فهي شمس الشموس أو أميرة البحيرة. بينما اتصفت ميمي بأنها «دلوعة»، وسميت القصص بمعنى الاسم كست الحسن، وشمس الشموس، وزهرة القمر.

العنصرية، للتعبير عن التمييز المستند إلى النوع. في معناه الأول، يقصد هذا التعبير التحامل ضد الأنثى، أما في معناه الواسع فهو يعني اليوم، ان أية نمذجة اعتبارية للذكور والإناث تستند إلى الجنس.

الجنس (Sex): هو المبنى البيولوجي والجسدي الذي نلد معه. الخلافات بين الذكر والأنثى هي طبيعية ومنتشابه في كل عائلة ومجتمع وبلد. فمن ناحية بيولوجية كل الإناث في العالم متشابه كذلك كل الذكور.

النوع الاجتماعي (Gender): إذا كان الجنس هو ما نخلق معه فالنوع الاجتماعي هو ما ننمو فيه. فهو الصفات والسلوكيات التي نكتسبها من المجتمع بكوننا إناثاً وذكوراً، أنها فوارق اجتماعية يحددها المجتمع لذكوره وإناثه لذا فهي تختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات.

اختيار القصص

المعضلة الأولى التي واجهتنا هي اختيار القصص لهذا البحث، وذلك لعدم مبالية كتب أدب الأطفال الصادرة في العالم العربي، بالإضافة إلى عدم وجود بنك معلومات يجمع الكتب الصادرة في العالم العربي بأكمله. لذا فقد اقتصرنا على الكتب المختارة على كتب صادرة في المشرق العربي (فلسطين، لبنان، مصر، العراق، الأردن وبعض الكتب المترجمة).

المعضلة الثانية هي أن الكتب الصادرة لمرحلة الطفولة المبكرة (من الولادة إلى 6 سنوات) هي كتب حديثة العهد بين كتب الأطفال العربية ولكنها في غالبيتها لم تحدد سنة الإصدار لذا فلم نستطع استعمال سنة الإصدار كمرجعية لتحديد العينة المختارة (كما فعل البحث الذي أجري في لبنان مثلاً).

لذا جاء اختيارنا للكتب عشوائياً بحيث يشمل جميع الكتب المتوفرة لهذه المرحلة العمرية في مركز الطفولة في الناصرة (الذي سعى ومنذ تأسيسه في سنة 1989 إلى جمع كتب الأطفال في مكتبة المصادر التابعة له) بالإضافة إلى جميع الكتب المتوفرة في مركز أدب الأطفال في الكلية العربية للتربية في حيفا والذي تأسس سنة 1996. وسنقوم في مرحلة لاحقة بمراجعة الكتب المتوفرة في المكتبة البلدية في الناصرة «أبو سلمى» لاستكمال البحث.

صفات الذكور (بيت القوسين: تكرارها)	صفات الأنثى (بيت القوسين: تكرارها)
قوي (2)	
بطل	
متسامح	
شجاع (9)	
فرحان	
منقذ (2)	
ذكي (4)	
فارس	
موهوب (2)	
حكيم	
كبير، ضخم (2)	
مواجه للمصاعب	
شاطر، ماهر، نشيط، مجتهد (6)	
امتياز	
نظيف	نظيفة
جليل	
واسع الاطلاع	
مهذب	مهذبة (3)
	حاملة
	محبوبة
	دلوعة
	مؤدبة، وديعة، كريمة الأخلاق، دمنة الطباع (4)
	لطيفة، طيبة (5)
	نشيطه (2)
	جميلة، حلوة (18)، عروس التركم (1)، سمراء
	شعرها أشقر طويل (1)، بنت صغيرة لها
	ضفيرة، ضفيران (2)
	صغيرة وجميلة (2)، جميلة وكسولة (2)
	خجولة
	غيبية
	متكبرة
	كسولة، كسلانة (3)
	عصبية
	جاهلة
	كثيرة الحركة
متهور	
شريف	شيطانه، شريرة (2)
متشرد	
عنيد	
خائف	تخاف الكلب، تخاف الممرضة*
خجول	
ثرثار	ثرثارة (2)
شره	

* «البنات تخاف الاقتراب من الممرضة بينما سامي، شادي، رامي وباسل لا يخافون».

«سعاد تخاف الكلب ورائف ينقذ الموقف».

وأكثر من ذلك عندما كان الحديث عن الحيوانات الذكور فقد رأينا أن موكي البطوط، والحصان، والديك يوصفون بن الشجاع، العجيب. بينما تصفت في «الزرافة» هرتي بن مغرورة، وجميلة.

وإذا استعرضنا المهن الموجودة في العنوان فنجد أن للذكور (حتى الحيوانات منهم) مهناً عديدة فيمكنهم ان يكونوا: خياط، نجار، خباز، طبيب (3)، بائع، صانع أحذية، حطاب، موسيقي (2)، عازف ناي، حارس، ربان، قائد، رياضي، مهندس، مخترع، لاعب كرة قدم. أما بين الإناث فالخيارات محددة وهن: أم، ممرضة، قاضية لمرة واحدة.

وربما تتضح صورة تقسيم المهن أكثر عندما ننظر إلى سلسلة عبقريات مبكرة حيث «الطبيب الصغير»، الربان، القائد، الرياضي، الموسيقار، المهندس المخترع، لاعب كرة القدم الصغير؛ مقابل الممرضة والقاضية الصغيرة!

للذكور مراكز في المجتمع أيضاً فمنهم من يستطيع أن يكون ملكاً (فهو ملك الغابة والفواكه حتى) أو إمبراطوراً أو سيداً. أما الإناث فلا مراكز لهن تذكر.

هناك عناوين تستعرض مواقف أو أوصاف للاسم المذكور: فهناك «نونو والأسد» مقابل «لولو والنملة»؛ و«شمسية بابا الكبيرة» مقابل «الأم الصغيرة»؛ و«الصبي والشمس» مقابل «مروة والصفيرة» و«سحر والبحر» و«شمس الذهبية»؛ وهناك «الرجل المجهول» أو «حسن والذئب» مقابل «ليلي الحمراء» و«نونو والقميميص الأحمر» و«قبعة رشا» و«بيت ميس» و«هموم وفاء» و«أنا افهم» و«أنا لست شقيماً».

وبينما يكون سنان في المدينة، في البحر، في الجبال، يحافظ على الطبيعة ف«أين ذهبت سلمى؟»، إنها تذهب لتنام، تقشر التفاحة، تتناول فطورها، تنهض من فراشها، أما حنان (ف) ترسم قصة وأيمان (تهتم) بعيد الام.

المحتويات

وعندما ألقينا نظرة متعمقة في المحتويات، صحَّ المثل «المكتوب يقرأ من عنوانه» وإليك النتائج:

الصفات

تذكر الشخصية عادة مرافقة بصفات تنعت بها فهل هنالك فرق بين الصفات التي تنعت بها الشخصيات المذكورة والشخصيات المؤنثة؟



الغالب المهام المنزلية وعلى الأب المهام خارج المنزل:

الأب	الأم
مرافق: يرافق الابن إلى الجبل، المكتبة، للشراء مع الاخوة/ الأولاد، إلى طبيب الأسنان، يرافق الابنة إلى معرض الزهور (5)*	مرافقة: ترافق الابن والابنة إلى التسوق (5)، ترافقه إلى المكتبة، تأخذ الابن إلى المستشفى.
سلطة: تطلب من البنت مساعدتها في الأعمال البيتية. الشاكوش، بنادي شادي للاستحمام، يذهب ليرى من اقتحم البيت	سلطة: لا يسمح لشادي بتناول
داعم: يصنع ابنه السيارة، يساعد ابنه على التأقلم في الحي الجديد، يقص الحكاية لابنه، يلعب مع الأولاد في الكرة، يهدي كرة لابنه*	رعاية: ألام تبقى بجانب خليل عندما يمرض، تحمي صغارها، تهدئ من روعها (3)
يسوق السيارة (4)	لا وجود لامرأة سائقة
يعود من العمل أو موجود في العمل (6)	تذهب إلى العمل (1)
ريح مالا، يشتري خروفاً، ينزل حملا من الشاحنة، ينصب الخيمة على الشاطئ**	
يقرأ الجريدة***	تشتري كتاباً لها ولابنها.
الملك يريد ان يزوج ابنته	
	وظائف بيتية: تنتظر الأولاد في البيت (3)، تحضر الطعام وتطعم صغارها (14)، تنظف البيت (2)، تعتني بالطفلة (تمشط، تطعم، تنظف) (6)، تلبس غالبا مريول المطبخ
	تساعد الأب في وضع الأغراض في السيارة

* مما يثير الاهتمام ان الأب يرافق ويدعم الابن فقط إلا في حالات نادرة يرافق فيها الابنة أيضاً.

** ينصب الأب الخيمة بينما تقوم الأم بتحضير الطعام.

*** يقرأ الأب الجريدة بينما تقوم الأم بتحضير الطعام.

تقسيم الوظائف التقليدي ينعكس في الغالبية العظمى من القصص، كما ينعكس في تحديد ملكية الأدوات المنزلية «فصندوق الخياطة للماما ... وصندوق العدة للبابا»، سوى بعض الاستثناءات التي سنتعرض لها لاحقاً لدى استعراض البدائل. في مثل هذه الحالة نرى أن الأم والأب يتناوبان في المستشفى ويخرجان للتسوق معاً، ويقوم الأب برعاية الأطفال وسرد القصة لهم.

من الواضح أن الصفات لا تتكرر في غالبية الاحيان، على الرغم من أن غالبية هذه الصفات هي صفات إنسانية مكتسبة لا تتحدد بكون الفرد ذكراً أو أنثى مما يؤكد أن النماذج الجنسانية مسيطرة في غالبية القصص العربية التي استعرضناها. كما ويُعرَض الطفل كفاعل في مجرى الحياة فهو «يصنع الطائرة وتقوم أخته بكسرهما بعد أن تلعب بها»، كما يصنع حسيب ونسيب «ماكنة لصنع البطاريات، غواصة، حافلة، صاروخاً، طائرة».

بالإضافة إلى ذلك فهناك الرسائل الخفية/ غير المباشرة التي تنضح القصص بها: فهي «الشمس تخرج أميرة حلوة تستيقظ كل يوم تمشط شعرها الأشقر الطويل، تحمل عصاها السحرية، تقف خجولة خلف الجبل، ترفع ثوبها البرتقالي الجميل وتبدأ في الصعود»، بينما القمر «يخرج الأمير بدر الزمان حاملاً سيفه الفضي الجميل»، «البومة تجري عملية تجميل لأنفها»، الزهرة تعاكس الشمس وتقول أنا الأجل»، «الديك طبيب ماهر»، أما «ميمي لدلوعة الجميلة تطاردها القطط»، و«أرنبو الشاطر وأرنوب الجميلة»، «أصغت البرتقالة الصفراء الجميلة... قال الكرفوت بحكمة وذكاء...»، كما ونعرف أن «مهمة استرجاع الأميرة مهمة شاقة تحتاج إلى شاب قوي شجاع صبور».

في جميع القصص المستعرضة لم تتصف المرأة بأنها متخذه للقرارات أو أنها تقرر، ولكن نراها في أحد المواقف القليلة تقرّر: «الزوجة الشريرة قررت قتل زوجها ولتنفيذ القتل اتفقت مع أخيها الشجاع».

الوظائف العائلية

تذكر القصص وظائف عائلية متنوعة وتلقي عليها مهاماً، فما هي هذه الوظائف؟ وكم تذكر؟ وما هي المهام الملقاة عليها وماذا نستطيع أن نستنبط من الصورة التي يعكسها أدب الأطفال العربي عن تقسيم الوظائف في البيت؟

المهام للذكر	كم مرة ذكرت	المهام للأنثى	كم مرة ذكرت
أب	23	أم	36
الجد	4	الجددة	6

لقد ذكر أيضاً الابن، والأخ والأخت وسنتعرض لهم لدى ذكر المهام الملقاة عليها والتوقعات منها. أما هنا فمن الواضح ان كلا الوظيفتين الأم والجددة مذكورتان أكثر من الأب والجد، فهل تختلف المهام الملقاة على عاتقهم؟

مهام ألام والأب

تظهر لنا القصص مهام محددة للام والأب فتلقى على الأم في

تنتظ الحيلة		
بنت حلوة متكبرة لا تريد ان تلعب مع أحد	1	
الرسومات: يجزّ السيارة، يسوق العربة، يركب أخته وراءه. تنوع في أماكن اللعب (داخل البيت)		
يدق الطبل	1	
يركب حصانه	1	
بالرمل	1	
المصارعة	1	
اللعب بالدراجة	3	
مكعبات	1	
لعب بسيارة	3	
ميكانيكي ويصلح السيارة	1	

* «أحمد تسلق الشجر لقطف التوت»، فيما «بتول بحثت عن عصا لقطف التوت». من الواضح أن ألعاب الذكور تنوع وتوفر إمكانية اللعب في الداخل والخارج.

المهن والوظائف الحياتية

تحتوي القصص على مهن ووظائف متعددة لشخصياتها وقد وجدنا مهناً للشخصيات المذكورة ومهنًا للشخصيات المؤنثة يستعرضها الجدول مع تبيان مدى تكرارها:

المهن المذكورة والمهن المؤنثة

مهن الذكور	تكرارها	مهن الإناث	تكرارها
طبيب (أسنان، عظام)	24	طبيبة*	1
صيدلي	1		
		ممرضة	7
		مساعدة طبيب	2
بائع وصاحب دكانة	12	بائعة، مشرفة في المتجر	4
مدير مدرسة	1	معلمة	3
قاضي	2	قاضية	1
خياط	1	خياطة	1
موظف، مسؤول قسم	2	موظفة استقبال	2
سائق	6		
ربان قبطان سفينة/ملاح	3		
مقاول	1		
رجل فضاء	2		
مخرج	1		
ممثل وفنان	3		
مهرج	2		
مدير شرك	1		
رجال الإطفاء	3		
ساعي البريد	3		
حلاق	1		
صانع	1		
مدرب، مروض	2		
صاحب مقهى	2		
صانع سيارة	1		
راكب عجلات*	6		
مزارع	2		

أما الجد والجدة فهما:

الجد	الجدة
يهتم بالحيوانات	1
يتحدث عن المطر	1
يقول عنها دائماً جميلة	1
يعلم القراءة	1

توقعات من الابن والابنة

الرسائل المتوفرة في القصص تعكس أيضاً التوقعات التي تفرضها القصة على الابنة والابن. فالأم تقوم بالمهام التقليدية وتطلب من الابنة مساعدتها أيضاً. فتقوم الابنة أيضاً بأعمال البيت فتجلب الماء، وتنسج البساط، وتجمع الأزهار، وتهتم برعاية الأخوة الصغار وترافق أمها في التسوق، بينما يذهب الابن مع أبيه إلى نزهة. وتقوم الجدة بمساعدة الأم في بعض الأحيان أيضاً. وهكذا ينقل تقسيم الوظائف التقليدي من الجدة إلى الابنة- الأم ومنها إلى ابنتها الطفلة.

توقعات من الابن	توقعات من الابنة
يحب أن يساعد أمه*	تساعد أمها بأعمال البيت (٩)
	رعاية أخوتها الأصغر منها (٢)
	تخدم الضيوف (١)
	تنسج بساطاً من الصوف (١)
	تجمع الأزهار (١)
	تقف أمام المرأة لتمسح شعرها (١)

* من الملفت للانتباه أن هذه المهام غير مطلوبة من سعيد وفارس ولكنهما يعرضان في القصة على أنهما يحبان، أي أنهما اختارا المساعدة، بينما يطلب من الابنة أن تساعد. في جميع الأحوال استعمال الفعل يساعد يفترض أساساً أنها مهمة الأم وفي حالة الابنة فيطلب منها المساعدة وفي حالة الابن يترك له الخيار إذا رغب «أحب» ذلك. وعندما يختار فارس المساعدة لأنه يحبها «يختار أن يساعد أمه في أعمال المنزل/ جده في قص العشب/ جدته في سقي الزهور/ أباه في تنظيف المخزن».

ألعاب البنات وألعاب الصبيان

وسيلة أخرى للتأثير على الأطفال هي بواسطة ما يتوفر أمامهم من ألعاب وكيفية تعاملنا مع ألعابهم والوظائف التي يتخذونها. فقد اثبت الأبحاث أننا نؤثر على شخصية الأطفال منذ اليوم الأول بل قبل الولادة. فلننظر إلى النماذج المتوفرة حول ألعاب الأطفال في القصص:

العاب البنات	العاب الأولاد
الرسم	1 الرسم
التنزه والتجول	1 التجول في المزرعة، ومرافقة والده إلى الحقل
	1 أتشقلب، أتسلق، طرزان، اجرب الطيران
	2 تسلق الشجر*
اللعب بدمية	
لعب خيالي	
تحمل كتاباً	1 يحب الكتاب
تحمل طابة	4 اللعب بالكرة



لإبداعه؟ من منا لم يصادف طفلاً/ة استسلم للمربية ولم يعد يجرؤ على المبادرة أمامها على الأقل؟ إذا نحن مطالبون بدعم الطفل والطفلة ليكتشفوا قدراتهم وميولهم ويعززونها ويصقلونها. دون علاقة بكونه ذكراً أو أنثى فالكل وُلد مع إمكانيات متعددة لكن الذي يكتشفونها قلائل.

وتسعى المجتمعات اليوم إلى اللحاق بعجلة التطور التي تتراكم أمامنا. وفي ظل العولمة أصبحت هناك دولا كاملة غير منتجة تستهلك البضائع والأفكار التي تنتجها دول أخرى، فالصراع القائم اليوم هو على ملكية إنتاج المعرفة التي تبعد وتطور بضائع يستهلكها العالم أجمع. حدة هذا الصراع تتطلب الاستفادة من كل القدرات البشرية المتوفرة في المجتمع. لذا نجد في بعض البلدان أنه لم يعد ربحياً ولا نفعياً إبقاء 51% من المجتمع في حالة تغييب وتهميش، وأصبح من المهم إزالة جميع العوائق أمام تطوير هذه القدرات البشرية نساءً ورجالاً. بينما تسعى دول أخرى ولضمان سيطرتها على سوق الإنتاج للإبقاء على تخلف بلدان محددة ليضمنوا أسواقاً لبضائعهم. وعليه نجد أنفسنا كمجتمع فلسطيني في هذه البلاد أمام أحد الخيارين: إما تطوير قدراتنا البشرية لمواكبة العولمة وإما الاستمرار بالاستهلاك السلبي للبضائع.

كمهتمين ومهتمات بالتربية أيضاً نقف أمام خيارات تربية: فما هي وظيفة التربية في المجتمع وأي فلسفة تربية نتبنى؟ هل نتبنى الفلسفة التربوية التي ترى وظيفة التربية المحافظة على ما هو قائم؟ أم تلك التي ترى أن وظيفة التربية هي التغيير الاجتماعي؟ أم أننا نرى وظيفة التربية كرافعة تمكن كل فرد من الوصول إلى تحقيق ذاته دون فرق؟ تحديداً لرؤيتنا التربوية، ينعكس أيضاً على كتب الأطفال التي نكتبها، نرسمها، نصدرها، نقتنيها لأطفالنا.

وجعلت مثل هذه الأفكار البعض يبادر إلى كتابة كتب أطفال بديلة. وبعض هذه الكتب (وخاصة تلك الصادرة عن مجتمعات قطعت شوطاً بموضوع المساواة بين الجنسين وتوفر بها النماذج الإيجابية كحقيقية حياتية) فأنها انعكست في كتب الأطفال أيضاً.

وإذا استعرضنا بعض النماذج، فهناك من يبحث في القصص الشعبية عن نماذج إيجابية بعض الشيء يمكن إعادة إنتاجها كقصة «السبع بنات»؛ هناك من يكتب أساطير جديدة كقصة الكاتب الفلسطيني الكبير «غسان كنفاني» «القنديل الصغير»؛ هناك من أعاد كتابة بعض الأساطير بعد إزالة الجنسوية منها ومثل هذه التجربة نجدها في البلاد ومن المبادرات لها ميري باروخ، وقد صدرت بعض هذه الأساطير ولكن بغالبيتها لا تلائم المرحلة العمرية التي نحن بصدها سوى القليل منها كما حدث

تكرارها	مهن الإناث	تكرارها	مهن الذكور
		1	صاحب مزرعة
		2	خطابون
		1	صيّاد
		1	صبي الإسطبل
		8	ملك، خليفة، سلطان
		1	وزراء
		2	مستشار الملك
		2	رسول السلطان
		3	شيخ القبيلة
		1	رجال الوفد
		2	فارس وجنود
		1	شاعر
2	أميرة	1	أمير
		2	لص وغزاة
		1	حارس
		1	صاحب بيت

* ذكرت الطبيبة في داخل القصة فقط فاسم الكتاب كان «لدى طبيب الأسنان» بينما عندما ذهب إلى العيادة فكانت هناك طبيبة.

هذا الجدول يتحدث عن ذاته فمقابل 107 شخصيات مذكورة تقوم تمتهن 41 مهنة أو مهمة، هناك 23 شخصية مؤنثة تعمل في 9 وظائف أو مهام فقط.

وحتى عندما تذهب الأم إلى الحضانة لتسجيل ابنها فلا ذكر لصاحبة المهنة (المربية)، حيث «اتفقت الماما مع السيدة الجميلة». أما عندما يتنافس الحيوانات على وظيفة ملك الغابة فجميع المتنافسين ذكور «النمر والأسد، الفهد، الثعلب، الذئب».

رؤية مجتمعة وتربوية

لقد نشطت مجموعات كثيرة في العالم لتغيير هذا الوضع القائم وقد أجرت اليونسكو بحثاً في عدة دول في مناطق مختلفة في العالم نشر في عام 1986 حول الجسوية في أدب الأطفال واستعرضت تجارب لإزالتها من كتب الأطفال والكتب المدرسية. ومن أكثر النشيطات في هذا المجال كانت مربيات وباحثات من الحركة النسوية رأين أهمية تغيير هذه النماذج النمطية كوسيلة للوصول إلى مجتمع يفتح المجال أمام ذكوره وإناثه لتطوير قدراتهم الذاتية.

نحن نعلم أن السنوات الأولى من حياة الطفل هي أهم المراحل النمائية في تطوير شخصية الطفل وفي تنمية قدراته على مواجهة الحياة ومصاعبها، أنها أهم مرحلة لتطوير رؤيته الذاتية الإيجابية وتقييمه لذاته. فالطفل الذي يلاقي تقييداً مستمراً وتقليلاً وتحديداً من إمكانياته وقدراته سيتعلم أن هناك سقفاً (زجاجياً أو اسمنتياً) محددًا. فمن منا لم يصادف طفلاً/ة فقد أيمانته بقدراته على الرسم مثلا لما صادفه من نقد وتحديد

في كتاب «الأميرة التي لبست كيسا من ورق». أما ضمن المحاولات العربية لتغيير بعض القصص الشعبية لتصبح أقل جنسوية هي محاولة جهاد عراقي في كتاب «ليلي الحمراء». وضمن القصص العربية التي صدرت في البلاد والتي تسعى وبشكل واع توفير نماذج متساوية فيشار إلى:

- «فارس وأمل» (مركز مصادر الطفولة المبكرة - القدس - فلسطين)، حيث «أمل تركب دراجتها الجديدة/ أم فارس تعمل مع أوراقها ودفاترها/ الأب صنع حصانا لفارس/ فارس وأمل يتبادلان ركب الحصان والدراجة».
- «عباد الشمس» (إصدار مركز الطفولة - الناصرة)، حيث «أعطى أمير بذرة عباد الشمس لأميرة/ وزعت أميرة البذور على جميع أصدقائها وصديقاتها».
- «طيارة حرامية» (إصدار مركز الطفولة - الناصرة)، حيث «وعندما تعود أمي الحنون من دوامة العمل/ تضمني تضمني تضمني/ تشمني تشمني تشمني/ وتزرع الوجود فرحة وتزرع الأمل/ أنتظر المساء، حتى يعود لي أبي».
- إصدارات دار المنى: «جنان ذات الجورب الطويل»؛ «دراجة ليلي»؛ «هل أنت جبان يا برهان»؛ «لماذا تغير برهان»؛ «قندس الخباز»؛ «قندس الخياط».
- وبعض كتب المجموعة العراقية، وبعض كتب الصادرة عن المجلس العربي للتنمية، وبعض الإصدارات الذاتية مثل بعض كتب تغريد النجار.
- من الكتب العالمية وهي عديدة ومتنوعة اذكر هنا «Erstaunliche Grace» و «The Little Engine that could»



النماذج الجنسانية

إذا حاولنا ان نستخلص من هذه النماذج ومن الكتب السابقة ماذا نرغب بإزالته من نماذج جنسوية سعياً إلى تحرير النساء والرجال من أدوار وصفات قائمة على الجنس، فإليكم بعض المؤشرات التي من المهم أخذها بالحسبان:

نماذج جنسوية	نماذج خالية من الأنماط المقولبة
تقسيم الألعاب لألعاب للذكور وأخرى للإناث	فتيان وفتيات يلعبون سوياً وبمساواة. تقسيم الوظائف خلال اللعب يعكس هذه المساواة، فلا تصور السائق ذكراً دائماً بل هنالك فتيات سائقات وفتيان أيضاً، كما لا تصور الفتاة تلعب مع دميتها فقط، فهي وهو يحبون تقليد الأهل بأدوارهم المختلفة بما في ذلك اللعب في الدمية، هذا لا يعني أن نفرض خياراً على الأطفال بل نقدم لهم إمكانية الاختيار عندها ربما تختار إحدى الفتيات عدم اللعب بدميتها أو يختار أحد الفتيان عدم اللعب بسيارته. وفي مثل هذه الحالة نضمن كون الاختيار ذاتياً وليس اجتماعياً. وحتى وإن تطلبت الحكمة أن تلعب الفتاة وحدها أو الفتى وحده فهما يلعبان بألعاب متنوعة، داخل البيت وخارجه.
الأعمال المنزلية: فقط الأمهات والفتيات يقمن بالتدبير المنزلي.	أطفال وبالأغون من الجنسين يقومون بأعمال منزلية كجزء طبيعي من الحياة اليومية وكشراكة فعلية. وليس كمساعدة للام.
في البيت: لكل فرد من العائلة دور واضح وفقاً للجنس. الأب هو صاحب القرار في العائلة.	يتشارك أفراد العائلة في الواجبات وفي الراحة دون تمييز. كما وتوجد نماذج متعددة من العائلات فمنها من يتكون من أب وأولاده أو أم وأولادها العائلة يكتنفها جو من التفاهم الاحترام والحوار بين جميع أفراد العائلة.
في العمل: الأب رب العائلة وهو يعمل ويكسب المال لإعالة العائلة: ألام ترعى الأولاد وتقوم بالأعمال المنزلية.	رجال ونساء يعملون ويتشاركون على رعاية الأطفال والإعالة. من المهم هنا التنوع أيضاً والتشديد على الاختيار الذي يقف أمام المرأة والرجل في أسلوب حياتهم. الفتيات يتمتعن بنفس الخيارات التي يتمتع بها الفتيان وان كانت هنالك عقبة فمن المهم ان لا ترتبط هذه العقبة بالجنس بل بصعوبات حياتية أخرى
اللغة: تستعمل اللغة الذكورية دائماً	اللغة متنوعة ومبدعة تستخرج الكلمات التي تتلاءم مع الوضع فلا تنقيد بالقوالب اللغوية التي في غالبها رجولية.
أدوار الرجال والنساء محددة	التعامل مع النساء والرجال كبشر انهم جميعاً شركاء في الإنسانية. يجدر تفادي أي تصنيف اعتباري لدور رئيسي أو ثانوي يخصص لجنس دون آخر. كما ويكونهم بشر فلهم نقاط قوة وضعف من المهم التعرض أليها دون قولبتها بأنها صعوبة نسائية او صعوبة رجالية. هنالك بعض المهن التي تصف بكلمة رجل مثل رجل أعمال، من المهم إيجاد بدائل للكلمات التي تقصي الأنثى.
المهن: مقسمة إلى رجولية ونسائية	إلغاء حشر النساء في الوظائف والمهن التقليدية فجميع الوظائف والمهن مفتوحة أمام النساء.
الصفات محددة حسب الجنس	كل الصفات الإنسانية هي صفات للذكور والإناث فهم: مستقل/ة، شجاع/ة، قوي/ة، نشيط/ة، مؤهل/ة، حازم/ة، مثابر/ة،.....
التركيز على قدرات الرجال والمظهر الخارجي للمرأة.	التعاطي مع الرجال والنساء بنفس القدر من الاحترام، الكرامة، الجدية دون أحكام مسبقة وأفكار نمطية.